



الهجوم بواسطة مجموعة كوماندوز محترفة محمولة جواً، والسيطرة على السفينة بالكامل واقتياها إلى ميناء أسود بفلسطين المحتلة، كان مصير السفينة مرمرة التي كانت متوجهة لغزة وتقل عدداً من النشطاء العرب والأتراك وغيرهم علاوة على المواد الغذائية لإظهار التضامن مع غزة المحاصرة أواخر مايو 2010م..

الهجوم حصل في المياه الدولية، لكن إبحار سفينتين عسكريتين إيرانيتين بمحاذاة سواحل فلسطين المحتلة باتجاه ميناء طرطوس السوري لا يثير شهية "الإسرائييليين" لأي عمل عدائي ضدهما؛ ولم تر فيه تل أبيب أي تهديد لها؛ فاكتفت بمراقبتها حتى حطتا في الميناء الذي تحته روسيا وإيران وتمدان النظام الصهيوني في دمشق بما يطلبه من أدوات القمع والأسلحة المحرمة ضد المتظاهرين السوريين.

تدور المسرحية المعتادة.. "تسرب" صحفة بريطانيا تحديداً كل عدة أشهر "أنباء" عن سيناريو لضرب إيران، ويتحدث مسؤولون صهاينة بالتزامن عن رغبة مماثلة في إيقاف البرنامج النووي الإيراني، وتسيير الوكلالات هذه "المعلومات الخاصة" بصحفة لندن، وتنشر في كل وسيلة إعلامية، لكن تنتهي الفقاعة الإعلامية بعد أيام، ويكتشف العالم أنها كانت جمعة بلا طحين.. والآن تمر السفن الحربية وتكتفي تل أبيب بتقديم التحية لها مثمنة دورها الموازي في كبح ثورة الحرية والاستقلال في سوريا..

الولايات المتحدة تعرف عدد السفن المارة من مضيق هرمز لكنها لم تر السفينتين الإيرانيتين إذ مرتا من المضيق، كما أن نفوذها في قناة السويس لم يحل دون مرور السفينتين، بل ربما لو منعت القاهرة مرورهما لأبدت واشنطن وعواصم أوروبا احتجاجها على "تسبيس المرور في القناة المحكومة بفرمان عثماني" .. أما طهران فلم تكرر بـ"التهديدات" الأمريكية والإسرائيلية في الخليج، وارتأت أنها بحاجة إلى الإبحار في أعلى البحار بعيداً عن شواطئها "المهددة"؛ فقادت برحلة "تجارية" آمنة توزع السلاح على الموانئ التابعة لها والمتمردين وميليشياتها بالتساوي والقططاس في ميناء ميدي اليمني إلى الحوثيين، وبيروت إلى "حزب الله" ثم إلى طرطوس معقل الرئيس بشار ومحضن دوليته العلوية المستقبلية.

ثم، لا أحد احتاج ولو بأسلوب خجول على هذا الإمداد العسكري المعلن لنظام يمارس أقسى أنواع الإجرام ضد شعب محتل - الشعب السوري -، ولو مدت تل أبيب هذا النظام بالسلاح لاحتاج العرب، ولو مد العرب الجيش الحر لاحتاج الغرب وإسرائيل" بل والعالم كله؛ فما هي إذن هذه "الحصانة" الدولية الشديدة التي تتمتع بها طهران، وتواجدها في المنطقة ضد هذا الاختراق الفاضح للقانون الدولي، ولماذا تملك وضعياً لا يتتوفر حتى لـ"إسرائيل" في العالم؟ فلا الغرب غصب ولا قدر العرب على مفارقة الخرس المحكمين به بأوامر غريبة على عربدة إيران في المنطقة!

أما سوريا، النظام المدلل الثاني بعد "إسرائيل"؛ فلا توافق في العالم يفوق ما حظي به؛ فال الأمم المتحدة اكتشفت بعد عام من المذابح على لسان أمينها العام أن ثمة "أنياء" عن ارتكاب جرائم ضد الإنسانية في سوريا، ورئيس هيئة الأركان صمت بدوره كل هذه الشهور انتظاراً واستمطاراً لتصريح "مقنن" من أيمن الظواهري، ليعرب عن خشيه من تسلیح المعارضة السورية لأن القاعدة "تبدي اهتماماً" بسوريا، ووزير خارجية بريطانيا لا يريد أن تعرف أوروبا بالمعارضة السورية إلا حالماً تتوحد بعد أن انتظر هو الآخر لتنفيذ تمثيلية هيئة التنسيق (الحكومية) المعارضة، ليجد ضالته في وجود هيئتين تتنازعان الحديث باسم المعارضة، وكأن المعارضة المصرية كانت موحدة أو الكتائب الثورية في ليبيا كانت كذلك، ثم بادرت دولة إقليمية هي الأخرى بصناعة "زعيم" جديد للملحدين السوريين لاستحداث انقسام يبرر الامتناع عن دعم حماة الديار الحقيقيين في سوريا، والناتو يصرح مسؤولوه بعبارة في غاية الغرابة، بأنهم "لن يتدخلوا عسكرياً في سوريا حتى لو فوضهم مجلس الأمن بذلك"، والمندوب المصري، ممثل المجموعة العربية في الأمم المتحدة، يعلن من قلب المنظمة الأهمية أن العرب لا يريدون تدخلاً عسكرياً في سوريا، والجامعة العربية كلها تمارس الدجل بأكذوبة المراقبين المموجة، والدول العربية المتضررة بالأساس من نظام بشار والتي يثير فيها الأنظمة السورية والعراقية والإيرانية فيها القالقل تنتظر إذناً بدعم الأبطال الأحرار في سوريا فتبطئ عليهم وأشنطن شهوراً وأسابيع.. وجميع الساسة من شرق العالم لغريبه يغفون أنسودة "بشار فقد شرعية"! متى كانت لبشار "شرعية"؟! نعود بالزمن إلى الوراء.. مات حافظ الأسد قاتل شعبه وذابح الفلسطينيين وهارب القنيطرة وبائع الجolan الأول.. كان الدستور لا يسمح بتولي ابنه الوريث بشار للحكم؛ فتم تعديل الدستور في دقيقة واحدة بمجلس "الشعب" .. وأتت "الشرعية" .. لا، لم تأت من مجلس "الشعب" ، وإنما جاءت من خلال زيارة خاطفة قامت بها وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت لدمشق في مجلس عزاء حافظ الأسد، حيث جلست الوزيرة مع الرئيس الجديد قبل توليه الحكم في غرفة مغلقة، و"باركت" وراثته للحكم، وحصل منها حينئذ على "شرعية الحكم والممانعة" معاً! وهي "شرعية" جعلت العالم كله لا يمارس ضغطاً يذكر على نظام بشار فيما رفع الغطاء عن "الكنز الاستراتيجي لإسرائيل" بعد 18 يوماً فقط من مليونيات ميدان التحرير.

لا يريد الغرب -أو العرب- تدخلاً خارجياً في سوريا؛ لا، إنه يقبل ويوافق ضمنياً على مرور عشرات الآلاف من الحرس الثوري الإيراني وميليشيات "حزب الله" و"جيش المهدى" ، ولا يجد غضاضة في تولي كبار الضباط الإيرانيين، وعلى رأسهم قاسم سليماني قائد الحرس الثوري للعمليات من داخل دمشق وثكنات الجيش السوري ومقرات المخابرات السورية، والجامعة العربية بقيادة نبيل العربي، ودولها الكبرى تجد حرجاً بالغاً في إثارة هذه القضية، وتوثر السكوت. مع ذلك؛ فإن هذا كله لا يدعو لل Yas، بل إلى الفأل والاستبسار؛ فنحن إزاء جملة من الفوائد تجنيها الثورة برغم فداحة فاتورتها؛ فطبائع الاستبداد التي غيرت بالفعل من طيب معدن أهل الشام كانت بحاجة لشهر من التمحص والمحنة والابتلاءات كي تخرج عنها خبئها؛ فإذا السوريون -كما عرفهم التاريخ- أهل مروءة ونجد وبطولة وإيثار.. وقد كان لزاماً أن تصهر الثورة هذا المجتمع حتى يعود كما عهده الشعوب العربية، رائداً فاتحاً صامداً مغواراً، ولم تكن أجواء ما بعد بشار لتفعل ذلك من دون هذه المحنة العصبية.. وقد كانت وستكون -بإذن الله- لفترة قصيرة أيضاً.

وقد كان النظام الصهيوني في دمشق من الحرفة بحيث انطلت ألعبيه وخدعه على كثير من القطاعات الشعبية والخوبية العربية، وأصبح من غير الممكن أن تتغير تلك النظرة من دون حادث كاشف، يميّط اللثام عن هذا القبح ويبزّه عياناً بلا غطاء أو روش. وتلك المسألة لا تتعلق بـ"شرعية" نظام أو تخص مجرد إعجاب بنمط معين من السياسة، بل يتعدى إلى أيديولوجية ومفاهيم وتصورات وقيم حادث عن الطريق، واستوجب أن توضع في سكتها الصحيحة؛ فقد توهم البعض أن التمنطق بفكرة "الممانعة" وـ"المقاومة" يجب كل أيديولوجية، ويغفر لها انحرافاتها العقدية والفكريّة ما دامت تختلط هذا الطريق وتسيّر فيه، وقد تبدي من بعد أن هذا المتنطق بائس لا من حيث تهاجمه وضعفه القيمي فقط، بل أيضاً لأن الشواهد

توكده وتدحض ما هو خلافه؛ فلا مقاومة دون فكر سليم، ولا ممانعة دون منطلقات صحيحة، ولا نجاح لكل هذا دون أخلاق وقيم، وإنما إذا مددنا هذا المنسخ على خطه للتقوى مع الصهاينة والمستعمررين في نقطة واحدة في النهاية.

ولقد جاءت الثورة بعد سنين، رفع فيها البسطاء صور نصر الله في شوارع عدد من العواصم العربية، بل ووضحت في الحوانيت والمنازل انبهاراً بكاريزما أصحابها؛ فلم تمض الثورة حتى صبت عليه اللعائن في قلب القاهرة وسائر العواصم العربية بل والعالمية، ولم تنجل الصورة إلا عن وجه كالح لسفاح مأجور وزعيم مليشيا دموية قاتلة.

وامتدت شهور الثورة السورية لتغزو بالوعي العربي مسافات ما كان يقطنها؛ فعلم من سريرة بعض قادته الجدد من سراق الثورات العربية وفلول أنظمتها السابقة ما أشعر الجميع بأن خديعة الاحتفال بالثورات لا ينبغي أن تنطلي على أحد يعرف هدفه، ويسعى لإمساك الدفة جيداً كي لا تضيع الثورات ويخطفها مناهضوها.

أما في قلب الإسلام والعروبة النابض سوريا الحبيبة؛ فقد اختفت شعارات بسيطة لم تكن تعبر عن كينونة الثورة العظيمة، وزارت دمشق لبيك الله لبيك، وصدقحت حلب ودرعا وإدلب "يا الله مالنا غيرك يا الله"، وهتفت دير الزور وحماء "وهيه والله وما بنركع إلا لـ الله"، وصاحت حمص "الله أكبر".."حسبنا الله ونعم الوكيل" ..

هذا هو الانتصار الحقيقي للثورة.. سوريا تعود.. تعود إلى حضن عالمها الإسلامي والعربي.. تعود إلى دورها.. إلى رياتتها.. تعود إلى حيث قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس))، قال معاذ بن جبل - رضي الله عنه - : "هم بالشام".

إنها الشام حين تعود لا تلتفت إلى مخالف ولا يضرها حاذل.. ماضية إلى حيث الظهور والانتصار..

المصدر: موقع المسلم

المصادر: